
عاشق الرحمان
سلسلة أمراء النصر والتحرير
قصة الاستشهادي
إبراهيم ضاهر
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

قصة الاستشهادي ابراهيم جميل خاطر





جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
لبنان - بيروت - المعمورة
تلفاكس: 01/471070
ص.ب.: 24/53 - 25/327
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

- **عنوان المسابقة :** أفضل قصة إستشهادي.
- **عنوان القصة :** عاشق الرحمن.
- **الكاتب:** زينب أحمد شحادي.
- **الرعاية :** بلدية النبطية.
- **المنظم والناشر:** جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- **الطبعة :** الأولى ـ شباط ٢٠٠٨م.

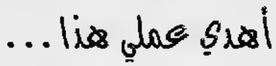



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الذين استشهدوا في سبيل الله، دفاعاً عن الدين والكرامة والإنسان.

إلى الإستشهادي ابراهيم جميل ضاهر الذي عشق الأرض فكتب رسائل عشقه بقلم الدم كلمات التضحية،


أهدي عملي هذا...

ـ المقدمة ـ

الشهداء هم اشرف أبناء هذه الأرض وأنبل مخلوقاتها لأنهم عشقوها فكتبوا رسائل عشقهم بقلم الدم كلمات التضحية.

الشهداء هم صمود جذور شجرة الزيتون وأوراق الأرز وأغصان الصنوبر وخرير المياه.

الشهداء نلمحهم في العلم اللبناني وتتراءى لنا أطيافهم في الثلج الأبيض الناصع الذي يغطي قمم الجبال بأغاني التضحية وبأناشيد الوفاء.

من هنا، من الجنوب وبيروت، من البقاع والجبل، من كلّ لبنان أتوا ليصنعوا تاريخ الأبطال والأمّجاد، ليصنعوا العزة والشرف لأمّة كان توأمها الهزيمة والذلّ والانكسار.

أحمد قصير وبلال فحص وهادي نصرالله وجواد عازار قافلة لا تنتهي عند تخوم الأسماء، فهم حبات عنقودٍ زيّن دالية لبنان بأجمل وأروع اللوحات التي خطّها اللون الأحمر.

دماؤهم أغنية الحياة، ونبض الارض وفوح الطيب...، الامهم أنشودة القهر وأنشودة الانتصار في آن...، صراخهم صراخ المتألم المنتصر...، دموعهم دموع العاشق ودموع لوعة الفراق ودموع فرحة اللقاء...

أحمرٌ ذاك الزهر الذي غطّى الحقول الجنوبية، «الله أكبر» تلك الصرخة التي دوّت في السماء العاملية...

هم الشهداء عندهم تتضاءل الكلمات وتنحسر وتنكسر أسنّة الأقلام عندما تتراءى أمام القوافي أسنّة الرّماح التي تقبّلّها الشّهيد بإخلاصه وصدقه وصفاء روحه وإيمانه وهدفه السامي.

ويحمل النسيم مع كلّ صباح، رائحة الدماء الزكية الفوّاحة من النّهر، حيث الرقرقات عشقت ترتيل «عم» و«المرسلات»، وينثر فوق ١٠٤٥٢ كلم٢ أحرفاً وكلمات حيث استقرّت فوق كلّ بقعة من لبنان، كلمة أو حرف عشقها أهل تلك البقعة وحفظوها بين ثنايا قلوبهم، لأنها من ذكريات الشّهيد البطل.

الشهداء الأبرار هم من صنعوا ٢٥ ـ ٥ ـ ٢٠٠٠، وسطروا نصراً في ٢٠٠٦/٨/١٤ وهم من باعوا أرواحهم لله مشترين بها مرضاته ورحمته وغفرانه، ولولا إن الله رسم لنا حياة الشّهيد الخالدة بعد صعود روحه إلى الرّفيق الأعلى، ما كنّا لنعرف مدى قرب الشّهيد من ربّه.

لولا هؤلاء الشهداء لما كان كتاب النصر يُفتح على صفحات العزّ من جديد، وها هي دماؤهم تسقط على تراب الوطن الذي طرّز بقطرة الدم فصول الحرية والانتصار، وها هو الربيع عاد إلينا بزغاريد العصافير وتفتحت الأزهار الفوّاحة بعطر الشهادة.

بوركت لكم الشهادة، أيّها الأبطال، وبورك لكم نصر لبنان، وفزتم والله فوزاً عظيماً...

ـ رحلة الشهادة ـ

ليلة الخميس استيقظ الحاج «أبو محمّد» من نومه، على صوت زوجته الحامل بولده الخامس وهي تردّد آيات من القرآن الكريم، فقال لها: «لِمَ أنتِ مستيقظة يا حاجة نعيمة؟» فأجابته: «لقد رأيت في منامي الإمام الحسين عليه السلام، يبشّرني بمولود ذكر... وأنّ ولدي الآتي سيكون ولداً مؤمناً، لذا عليك أن تهتمي بحملك كثيراً» فأجابها الحاج أبو محمّد: «يبدو أنكِ تناولت العشاء ونمتِ»، فيكون جواب الحاجة نعيمة: «لو كان الأمر كما قلت، لما كنت قد رأيت الإمام الحسين عليه السلام كلّ ليلة جمعة وهو يحدّثني عن المارد الآتي إلى وجه الحياة وما كنت قد رأيت الأنبياء عليهم السلام أيضاً». وانتهى الحوار بين الحاج أبي محمّد والحاجة أمّ محمّد وعلامات الفرح والسرور تعتلي وجه الحاج جميل ضاهر ونام الحاج جميل وتبعته الحاجّة نعيمة وهي تخطّ بقلم الخيال الصورة لولدها الذي تحمله في أحشائها، عن طريق سفن أحلامها التي رحلت معها إلى كربلاء

حيث سيّد الشهداء عليه السلام، اهدى الجنين نوراً ولقنه ترتيلا، ومضت الأيام على الحاجة أمّ محمّد ثقيلة، فهي تنتظر المارد الآتي، ولكنّها في الوقت نفسه كانت سعيدة، فهي إنسانة مؤمنة ترحل في كلّ ليلة جمعة إلى من تحبّ وتعشق مع ولدها الذي تحتضنه بين أحشائها في جوفها، ترحل إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام. وتمرّ الأيّام وتنقضي أشهر الحمل التسعة، وليلة الجمعة ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٧٠ الموافق لـ ١٧ ربيع الأول، كانت عائلة الحاج جميل ضاهر على موعد لقاءٍ جديد، ولكنّ لقاء الساعة الحادية عشر والنصف ليلاً يختلف عن كلّ اللّقاءات، فالضيف اليوم هو مولود جديد أبى إلاّ أن يشارك السّماء والملائكة فرحتهم بميلاد رسول البشرية صلى الله عليه وآله، حضر وكأنه سمع الملائكة تصرخ في السماء بنداء: «**لبيّك يا رسول الله**»، فكانت الصرخات التي سمعها أرجاء الكويت من الطفل اللبناني الجنوبي، هذه الصرخات أتت لتلبّي النداء الملائكي على طريقة الأطفال الخاصّة. ووُلِدَ البدر ليلة الضياء، ورمقت الحاجة نعيمة ولدها الآتي رمقة حنان ومحبّة ورأفة، ولمحت في عينيه بريق البراءة والنّعومة، وداعبت أناملها الرّاسمة لمسيرة الحياة الشاقّة، أنامله النّاعمة التي أبصرت الحياة وهي تلمس بين أنامله النّاعمة كلّ المعاني، وتصبّ بين يديه الأوراق التي اقتلعها نسيم الحبّ عن شجرة الأمومة، لتقوم أمّ محمّد وتهدي تلك الأوراق إلى الشمس التي أشرقت لترى نور الحياة، وما كان من الوالدة إلاّ أن تذكر الله وحبيب الله محمّد وآل محمّد عندما شاهدت الجمال، قرين المولود

الاتي إلى ركب هذه الحياة، لقد بُهرت عينا الوالدة، كما اعين الناس الذين أهّبوا كاميراتهم لتصوير النور الساطع كبدرٍ ساطع الذي أضفى نوره على مركب العائلة شعاعاً، يبعث في ركبها الحياة ويمنحها العزم والقوّة والجبروت، وعندما وُلِدَ إبراهيم، تدفّق الخير وحلّت البركات ضيفاً على منزل الحاج أبو محمّد، فبعد أن كان الوالد مجرّد سائقٍ بسيطٍ، رُقّيَ الوالد إلى منصب رئيس الحرس الأميري، وأحيلت سيّارة خاصة إلى منزله، هذا عدا عن الزيادة المالية التي حصل عليها، بالإضافة إلى سجل الخير الذي أضافه إلى العائلة، كان الجمال سمة تميّز ذاك الطفل الذي ترعرع وهو ينهل من حنان أمّه وإيمانها في كل يومٍ المزيد، فكان حليبها نبعاً يعكس شعاعاً في نفس الطفل ويهبه الجمال والبراءة. وفي حين أنّ أولاد الحاجّة أمّ محمّد شربوا الحليب المجفّف للعلب، كان إبراهيم يشرب حليب والدته الذي يحمل جميع أنواع المعاني والكلمات التي تحتضنها الأمومة في ثناياها. سنتان ونصف رضع إبراهيم من حليب أمّه، هاتان السنتان كانتا كافيتين لكي يحفظ إبراهيم في حنايا قلبه الحنان والرأفة والرّحمة، ولكي يتعلّم الدروس في التضّحية والوفاء والإخلاص، وكأن الله أراد من الحاجة أن تهب كلّ ما لديها من صفات الأمومة لولدها الشّهيد. وتمر الأيّام، وتنقضي الليالي، وككل الأمّهات، تسهر أمّ محمّد الليالي في سبيل تربية ابنها الذي ما وفّرت كلمة دعاءٍ وابتهال واحدة إلى الله إلاّ وردّدتها له، ويتعب الأب في سبيل عائلته، وينضج إبراهيم، الزهرة

الخامسة التي اينعت في حديقة تلك العائلة الجنوبية التي غادرت بحثاً عن العمل إلى الكويت، ويمشي إبراهيم ويتكلّم في عمرٍ مبكّرٍ أيضاً، وفي كلّ يومٍ تكبر الزهرة بماء الأمومة الحنونة، وتعبق الحديقة برائحتها الجميلة. في الثالثة من عمره، وبينما كان الأهل عائدين إلى لبنان عن طريق الأردن، سلكوا طريق الرمادي في حين كانت الطريق غير مؤهلة لمرور السيارات لأنها كانت كلّها رمال، وكان أمام سيارة الأهل حوالي عشر سيارات فقال والده: «شو يا برهوم؟».

فكان جوابه يعبّر عن ثقة بنفسه: «انطلق»

فقال له الحاج جميل: «وإذا غرّزنا بالرمل!»

فقالت عندها أمّ محمّد: «الم يقل لك إبراهيم انطلق، لا تدعه يبكي».

فتوكّل الحاج على الله وانطلق وبعون الله تعالى تمّ اجتياز الرّمال، عندها علت بسمة الطفولة وجه إبراهيم وما أدراك ما بسمة الطفولة! خصوصاً بعد تحقيق انتصار وقال: «ألم أقل لكم» ونظر إلى السيارات الأخرى وقال لهم: «افعلوا مثلنا» وعندما وصلوا إلى الحدود ومركز الجوازات في بلدٍ عربي، كان من عادة الشرطة هناك أن توقف ابنه محمّد لتشابهٍ في الأسماء، لكن في ذلك اليوم لم تدقّق في اسمه ولم تعره أيّ اهتمام، وأثناء توقيع جوازات السفر، سارت الأمور بسهولة أكثر ممّا يتصور الوالد، وكانت إشراقة الشّهيد تضفي على نور شمس الأردن الملتهبة مزيداً من الشعاع، وتمرّ

السنين وإبراهيم يكبر يوماً بعد يومٍ، ويستيقظ في كلّ يومٍ مسلماً على الشمس، مشاركاً إيّاها النّور والإشعاع ومسلّماً على الأشجار والأزهار، مغرداً مع العصافير. ويبدو انّه منذ صغره كان مثالاً يُحتذى به كولدٍ بارٍّ لوالديه حيث انّه لا يخرج إلى المدرسة من دون أن يرى البسمة ترقص على شفتيّ أمّه، ويطأطى رأسه مستجيباً بكلّ احترامٍ لأوامر والده. منذ صغره، جمعت روحه بين طيّاتها الصّفاء والنّقاء والطّهارة تسج في بحور التّواضع والتسامح والمحبة، هذه الروح النّقية. ففي أحد الأيّام أحضر له والده ملابس جديدةً فألبسها لأخيه قبل أن تلمسها أنامله الصغيرة لأنه كان يفضّل أن يراها على أخيه قبل أن يراها على نفسه. هذه هي الرّوح النّقية التي تعشق الخير وتعيش في ثناياه.

ومن يوميّاته المدرسية، ترجع الذاكرة بقلمي إلى ذاك اليوم الذي قام فيه احد الطلاّب بالتعدي عليه في فناء المدرسة، لكن الفتى إبراهيم ضاهر حمل التسامح قرباناً إلى ذاك الفتى الذي علم انّه يتيم وعندما عاد إلى البيت، كان يبدو على وجهه انّه تعرّض للضّرب، وكانت الدموع تنهمر على خديّه، فطلب إليه أهله أن يحدثهم بما جرى معه، فوافق على شرط أن لا يبلّغوا أهل اليتيم عن الاعتداء الذي تعرض له من قبله. وبما أن الحياة تجري بسرعة، فإن العمر يجري بسرعة أيضاً، وها هو إبراهيم يبلغ الثامنة من العمر ويدخل مرحلة جديدة، ففي هذه المرحلة، التحق في ركب الخاشعين المصلين والصائمين في شهر الرحمة والصيام، لم تسوّل له نفسه يوماً أن

يترك الصيام طمعاً في تناول الطعام، لقد احب الله وعشقه فكان الصيام سمة من سمات العشق الذي يرافقه أينما حلّ. وفي يوم الإمتحان، حيث انه من المفترض على فتىً صغيرٍ كإبراهيم أن يفطر، لم يكن ليفطر، فكان يطلب والده منه الإفطار، فيطأطئ رأسه مستجيباً كعادته ولكن من دون أن يلبي، وعندما يحضر إلى المنزل ومعه علامة النجاح، كان يركض معانقاً أمّه واضعاً حنانها وتعبها وشقاءها مقابل النجاح الذي حقّقه، فيشعر وعلى الرغم من صغر سنّه كم أن النجاح يسقط في الميزان أمام كفة التضحية والأمومة، ويبادر الوالد لضمّ ولده إلى صدره وإهدائه قبلة الأبوّة ويطلب الزوج إلى زوجته عندها تقديم العصير فكان الولد الفتى يجيب: «كلاّ، فأنا ما زلت صائماً، لأنه رضا الله ومن ثم رضا الوالدين».

في أحد الأيّام، تقدم مدير المدرسة من إبراهيم بالدعوة لإشراكه في برنامج تلفزيوني، علماً أنّ المدير كان شديد الإعجاب بذكائه، وبالفعل شارك إبراهيم وكان الفوز من نصيبه لأن الثقة بالله تعالى هي ما بعث في نفس محب أهل البيت عليهم السلام الثقة التي أهدته الفوز في المحافل كلها التي شارك فيها إن كان على الصعيد الرياضي أو التربوي. ويبلغ الشّهيد الرابعة عشر من عمره، ويشترك فريق مدرسته في إحدى المباريات الرياضية التنافسية المدرسية، ويطلب هو من مدرّب الفريق المشاركة، وبثقة عالية يرتئي لنفسه مهمة حارس المرمى، وبالفعل شارك في المباراة وفاز فريق مدرسته، وان ملاعب الكويت الكروية ما زالت تتذكّره، ما زالت

تحفظ في دفتيّها ذكرياته مع الشجاع البطل والمتفوّق، وبما انه كان يعشق الرياضة فقد سجل معها العديد من الانتصارات، فها هو يشارك لعدة مرّات في مباراة الكرة الحديدية ويفوز فيها أيضاً.

لم يكن إبراهيم في هذا العمر ليجلس على شاشات التلّفزة مسترقاً السمع إلى أغنية أو غامساً أنظاره بالغوص في فيلم سينمائيٍّ، كان يجلس أمام شاشات التلّفزة مستمعاً إلى شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام مستفيداً من بلاغة وفصاحة الأمير عليه السلام ، مسافراً مع تلك الكلمات إلى تخوم التّجف الأشرف، التي ترسل إلى إبراهيم ضاهر رسالةً مفعمةً بأريج الحياة الأبدية والخالدة، وظلت تلك الخطب في قلبه وجرت في عروق دمه واستقرّ رنينها على عرش قلبه، ووهبته حياةً عبقها الإيمان والخشوع والخشية من الله. لم تكن عاطفة إبراهيم تجاه والدته، كبقيّة إخوته، كان يحفظ في قلبه الحب لذاك الملاك الهادئ الحنون، كان يلمح في بريق عينيها المحبّة ويتعلّم من أريج كلماتها الإيمان ومن ينابيع حنانها الحنان والرحمة والرأفة. وككلّ ولد لا بدّ له من كنز أسرار، فكان كنز أسرار الشّهيد إبراهيم والده الحاج أبو محمّد، فقد كان يحدّث والده بكلّ ما يجري، بالإضافة إلى أنّه كان يفتح معه النقاش والجدال والحوارات التي يبدو انّه يغلب عليها الطابع الديني. وكان يرتاد مع والده دائما الأسواق الإيرانية في الكويت، وكعادته كان يصرّ على شراء صور الأولياء والأئمة عليهم السلام من هذه الأسواق، على الرغم من وجود ما يشبهها في المنزل وإذا بادره

والده بالرفض، كان يرد الرفض بالحجج التي تراها عيناه الفتية مقنعة، فكان يقول هذه ملونة، وهذه واضحة أكثر وما شاكل، هذه الصور هي التي بعثت في نفسه نوراً أشعل روحه بحب المولى عزّ وجلّ، تلك الصور هي من نقلته إلى كربلاء حروف البطولة وحكاية الدم والاستشهاد. لم يكن الشّهيد ليكتفي فقط بشرح نهج البلاغة الذي كان يستمع إليه عبر شاشات التلّفزة ويصر على سماعه بشكل هادئ لأنه كلام ذهبي على حدّ تعبيره، بل كان يعتمد القراءة الشخصية ويجمع الكثير من الكتب وخصوصاً الدينية منها، ومن يعشق كتب الرسالة الإسلامية لا بد له أن يعشق أولاً كتاب الله عزّ وجلّ، فقد كان القرآن الكريم أنيسه ورفيقه الدائم، يرتله صباحاً مع سجدات الخشوع لقطرات ندى الفجر المرافقة لتسبيحاته الربانية، ويردّده ليلاً لتصدح به الأصداء بعيداً وكلّ نجوم السماء ترافق دموع خشوع الشّهيد بدموع إشراقها، ويذكر الحاج أبو محمد أن «أبو زينب» (الاسم الجهادي للشهيد) كان يردد آيات القرآن الكريم وهو نائم. فقلبه ينبضُ بإسم الله وعيناه تسافران إلى جوار الله... ولم تكن صداقة الشّهيد لتقتصر فقط على القرآن الكريم، بل كان للشهيد أصدقاء انتقاهم من مدرسته ومحيطه، ولكن الجوّ بين صداقة القرآن الكريم وصداقة أصدقائه لم يكن ليختلف كثيراً، فهو لم يكن ليتسرّع في اختيار أصدقائه، فقد كان يراقب أولئك الأصدقاء الذين كانوا يرفرفون في أرجاء المدرسة كالطيور المغرّدة، فكان ينتقي منهم من تتّسم تغريدته بالنغمات اللطيفة والنقية التي

نبذت شوائب الكلام البذيء، والفتى المؤمن المهذب الذي لا يغتاب ولا يؤذي أحداً، وصاحب الأخلاق الحسنة المستقاة من صديق إبراهيم الأول القرآن الكريم، وأمّا من كان يؤذي الآخرين فأنه لا يتكلم معه أبداً أبداً، ومن الأصدقاء فقد كان له صديق إيراني يدعى احمد قبضات يعيش في الكويت، وكان الحب يجمع بين هاتين الزهرتين اللتين يفوح أريجهما بطيب الإيمان الذي تنشر في أرجاء الكويت أروع النفحات الروحانية.

ومئذنة بيت الله ما زالت تتذكر وقع أقدام إبراهيم وأحمد، وما زالت تفتقد إلى صلاتهما، وتكبيراتهما، التي كانت تغرس في أرجاء بيت الرحمن غرساً يحتضن في حناياه تلك العلاقة التي تطلق من الأعماق كلمة: «**يا رب**»، فهما كانا يزوران المسجد دائماً لإقامة الصلاة ولم تقتصر رفقة طريق المسجد على أحمد فإبراهيم كان يحب كثيراً مرافقة المشايخ وكان لديه أربعة أصدقاء مشايخ ومن بينهم شيخ إيراني أهوازي، لا يترك الشّهيد حتى يوصله إلى البيت ويقول لأهله: «الله يحمي لكم إبراهيم»، وقد كان يعبر لوالديه انه يخاف عليه كثيراً من العودة إلى البيت لوحده فقد كانت ترد الحاجة أمّ محمد: «لا عليك».

فيجيبها: «إبراهيم يُخاف عليه».

ويصبح إبراهيم شاباً يافعاً، وكان في البيت بين أخوته كأب حنون يحب الخير للجميع، وأمّا أمّه فقد كان لها جناح خاص في قلبه ملأه بمحبته لها، فكانت «نقطة ضعفه» كما يصف هو محبته لها. أمّه التي

لطالما جلس على ركبتيها صغيرا وأخذ من حليبها رضيعا وتعلم من حنانها ورحمتها فتياً، وعشق الله من صلاتها النورانية شاباً وأمّا بالنسبة لأخوته، فقد كان قريباً جداً من أخيه ناجي الذي كان يجالسه دائماً ويتحدث إليه وينصحه بالمحافظة على دينه والتمسك به وعدم التهاون بتعاليم الله تعالى، ولم يكن يقتصر النصح فقط على الأخ بل كان يمتد إلى كل العائلة، فتارةً كان ينصح أخته بالتمسك بالحجاب وأخرى بالمحافظة عليه عن طريق عدم مصافحة الأجانب، وكان الأهل يستيقظون ليلاً ويسمعونه يردد هذه النصائح، وفي إحدى الأمّسيات الحوارية التي كان يجريها مع والده قال له: «أيمكنني يا والدي أن أسألك سؤالاً شرط أن لا تغضب مني»، فقال له والده: «اسأل فأنا لن اغضب منك» فطرح السؤال التالي: «نحن من خلقنا».

- الوالد: «الله».
- الابن: «السني من خلقه».
- الوالد: «الله».
- الإبن: «المسيحيون من خلقهم؟»
- الوالد: «الله».
- الابن: «لماذا يجب ألاّ أحب فلاناً وفلاناً إذا كان الله قد خلقنا جميعاً، فلماذا يجب أن نفعل ذلك نحن؟».
- فأجابه الوالد: «هذا الأمّر ليس من عدنا، بل هو من زمن الأنبياء عليهم السلام».
- فأجابه الابن: «لا يا أبي، الأنبياء عليهم السلام لا يقولون ذلك، بل

نحن من يفعله، يا ابي لا تقول هذا لأن فيه تجنيا عليهم عليهم السلام، وأنت بهذا القول تتحمل الخطأ، بل نحن من يقوله، وما دام الله خلقنا جميعاً لا فرق بين أن نكون هذا شيعي وهذا سني وذاك مسيحي بل يجب أن نحب بعضنا البعض، ولا يجب أن نتصرف مثل الآخرين، وكلٌ حرٌ في رأيه، ولكن علينا أن نقول هو الله، فلا يجب أن نقابل الخطأ بالخطأ والخطيئة بالخطيئة».

هذه الكلمات وعلى الرغم من بساطتها إلاّ أنها غنية المعاني والقيم، ذكية الروح، وهذا ما يدل جليّاً على أن شخصية الشّهيد الروحية والأخلاقية صبغت بصورة الأولياء الصالحين، فهي فيضٌ من أخلاق من خاطبه الجليل في عرشه: «وإنّك لعلى خلقٍ عظيم» وفيض من أخلاق أئمة الأخلاق وأئمة الدين أهل البيت عليهم السلام. فهو مثال الفتى الخلوق، المهذّب، المؤمن، الثائر على الكره المستشري في أوساط المجتمع بين ابناء الطائفة الواحدة والوطن الواحد. وبينما هو في أحد الأيّام جالسٌ في رحاب بيت الله، فتح الجدال والنقاش كعادته مع أحد الحاضرين وكان شيخ سنيّ اسمه جبّار علماً أن والده كان يطلب منه السكون لكن نفحة المحبة والتآلف والوحدة الإسلامية تدفعه إلى مثل هذه الحوارات، فبادره إبراهيم بالكلام:

- «لديكم نعرة طائفية في الكويت لا توجد في أي مكان»
- الشيخ جبّار: لماذا يا شيخ إبراهيم؟
- إبراهيم: أنت من خلقك ؟

- الشيخ جبّار: الله.
- إبراهيم: من خلقني أنا؟
- الشيخ جبّار: الله أيضاً.
- إبراهيم: أنا شيعي، أظن الآن انك لن تعاود الكلام معي.
- الشيخ جبّار: لا يا إبراهيم، لماذا؟
- إبراهيم: أنا أذهب إلى المسجد وأرى ماذا يحصل، يجب على المشايخ أن تتكلم مع الناس وتوضح لهم وتفهمهم إننا كلنا مسلمون موحدون لله، وأنّ كلاً منا قد افترق إلى مذهب ولكن كلنا مسلمون نشهد بأن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، من نحن ننادي يا ربّ ويجب عليكم انتم علماء الدين أن تقرّبوا بين المسلمين لا أن تفرقوا بيننا وتتركوننا محتارين، فإلهنا الذي نناديه يا ربّ هو الذي خلق الدنيا ورفع السماء وبسط الأرض وكلنا مخلوقات الله وحتى النملة والذبابة، فلماذا نقوم بالحساسيّات بين بعضنا البعض»، ووالده ينظر إليه ويردد بين ثنايا قلبه: «متى سيسكت إبراهيم؟» بالتأكيد إنّ هذا الوعي الديني والثقافة الدينية الغزيرة حصّلها إبراهيم من المطالعة ومتابعة البرامج الدينية عبر شاشات التلّفزة، وإبراهيم كان يذهب إلى المكتبة ويشتري كتباً للإمام الخميني قدس سره ملأ بها مكتبته الخاصة، هذه الكتب لا تزال محط زيارة الوالد الذي ما زال يحتفظ بها لنفسه وهو كما يصفه والده: إبراهيم في كفّة وبقيّة أخوته في كفّة أخرى.

في أحد الأيّام وبينما كان يتمشى على الطريق وإذ به يلمح

عجوزاً ضريرة تودّ ان تعبر الشارع، ولكن من دون ان تهزّ الشهامة العربية أحد السائقين ويتكفّل بإيقاف سيارته لتتمكن من العبور، فيهبّ عندها الشّهيد لمساعدة تلك الإمرأة العجوز، ومن ثم يرحل بعد أن سمع منها كلمات الدعاء والتوفيق. وهذه الرحمة والرأفة التي عاشها الشّهيد بين دقتي قلبه ورضعها منذ صغره مع حليب أمّه ونمت معه وأينعت من بريق أمومة الحاجة نعيمة، وصدرها الممتلئ بالحنان وكلماتها التي تتعطر بالرأفة والنعومة، ولطالما كان الشّهيد يرتمي بين أحضان أمّه، ناقلاً إلى مشاعره ما يختلج الوالدة من مشاعر، فتارةً يساعد ذلك العجوز في حمل الأغراض وأخرى يحنّ على ذاك الفقير وما إلى هنالك من الأعمال الخيّرة والحسنة التي كان يقوم بها.

هذه القوة الروحية هي التي كان يمتلكها إبراهيم ضاهر في طيّات قلبه هي نفحة المحبة والتآلف، وإن كلماته تعبّر عن مناجٍ يناجي الوحدة وينبذ التفرقة، هذه القوة الروحية منحته قوة جسدية، فكان إذا أخطأ أحدهم معه حمله كحمل رضيع ويقول له:«ممنوع الخطأ مرة ثانية».إبراهيم ضاهر كان يملك عاطفة غريبة تجاه إخوته وأمه، كان يحبّ اخوته كثيراً، وبالنسبة لوالدته فهو كان يحبّها حبّاً! جمّاً بطريقةٍ تختلف كثيراً عن بقية إخوته، فهو لم يغضبها يوماً، وكان يقدم لها الطاعة دائماً ولطالما شعرت أن في عينيه لمعان الحب والعاطفة التي تناديها إلى قلبه لتسكن فيه في جوارها، وأما أخواته فقد اكتسبن منه الصمود والقوة والمحافظة

على الدين، فتلك أخته تحافظ على حجابها ملتزمة بوصيّته .

كان لدى الشهيد عفّة نفسٍ، ففي إحدى الزيارات التي كان يقوم بها رفيقات أخواته لهنّ كنّ يجلسن على الشرفة، فغيّر مكان مروره فسأله عندها أخوه: «هل أنت فتاة لتستحي»، فقال له الشهيد: «أنا لا أستحي ولكنّني ابتعد عن المعاصي، فالنظر ملعون ويسبق إلى المعصية والنظر يخونك»، واضطر لمعالجة هذه المسألة أن يفتح باباً خاصاً لغرفته ليدخل ويخرج منه.

أنهى إبراهيم ضاهر دراسته الثانوية في الكويت وعاد إلى لبنان ليكمل دراسته الجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت، وبما أن الجامعة كانت في بيروت اضطر والده إلى أن يستأجر له شقة ليسكن فيها مع أصدقائه الكويتيين بعيدةً عن الضاحية الجنوبية للعاصمة بيروت، حيث الثقل الشعبي والسياسي لحزب الله، خوفاً عليه من أن ينخرط في صفوف المقاومة الإسلامية. وكان في أيام العطلة يذهب لزيارة أقاربه في بلدة جبشيت وآخرين في الضاحية الجنوبية. غير أن البعد الجغرافي عن المقاومة لم يكن ليستطيع أن ينال من علاقة الشهيد بروح وفكر وخط المقاومة. كان عندما يعود إلى قريته، يرتاد المسجد ليستمع للدروس الدينية، بدلاً من أن يستمع إلى الاغاني أو يشاهد الأفلام السينمائية التي كان لا يشاهدها أو يسمعها نهائياً.

وأواخر عام ١٩٨٦، أي في الوقت الذي بدأ فيه الشهيد عمله في حزب الله، جاء والده من الكويت ليقضي إجازة وليرى إبراهيم،

حضر إلى البيت ليلا فوجده مضاءً، دخله ووجد الشّباب عنده ينسجون تحت ضوء القمر أنسجة عملياتهم البطولية، فدخل عليهم ثمّ عاد أدراجه لأنه خاف أنهم يتكلمون شيئاً فلحق إبراهيم بوالده وقال له: «يا أبي مبيّن رجعت؟ ما تكون زعلت!!».

فقال له: «نحن أتفقنا بأن تقعد ببيروت مش هون».

قال إبراهيم: «انا خلص هيدا مصيري ومش رح أتراجع، أنا دخلت بحزب الله ومش رح أتراجع عن هالطريق هيدا وبترجّاك أنت وأمي ما تزعلوا منّي وتغضبوا عليّ».

ولم يخبر والده انه يقوم بعمليات جهادية بل اخبرهم انّه كان يقوم فقط بأعمال إدارية داخل المنطقة.

عام ١٩٨٧ حمل اللواء ومشى، كسر القيد وحطّم الحواجز وانطلق، غادر بيروت وعاد إلى بلدته كفررمان حيث الشّال الأخضر يلّف عنقها ليبدأ رحلة العشق الإلهي، رحلة الغارق في أمواج الحب الرّبانية. وبعد أن كان أبو محمد على مدار السنوات الماضية كنز أسرار إبراهيم الدفين، كان ذاك الكنز الذي يحمل كلّ الأخبار والأسرار عن الشهيد، غاب عنه سرّ الشهادة والمقاومة، ولقد أخفى إبراهيم عن ذاك الكنز هذا السرّ، ولربما سنة ١٩٨٧ أقفلت كنز الأسرار بمفتاح المقاومة، لأن الأسرار صارت تعشقها المغاور وتسمعها الوديان ويدونها حفيف الأشجار، وتخطّها أمواج الأنهار، وتحفظها صخور الأزمان.إلتحق إبراهيم بالصرح الإلهي محيطاً إياه بعشقه وحبه الرّباني وتعلّقه القدسي بالرحمن الذي عجزت

قصائد شعر قلبه الوجداني عن التعبير عنه، فأختار درب الشهادة ليخطّ به قصيدة حبه الوجداني للقدّوس. كان إبراهيم يجلس تحت شجرة السنديان محاكياً أغصانها ومخاطباً كلماتها، ومتأملاً في السماء الزرقاء حب الله وحبّ والدته وينظر إلى الأرض مخبراً إياها انه سيرويها بقطرات الدم عوضاً عن قطرات الماء.

وفي الزيارات الدورية التي كانت تقوم بها العائلة إلى لبنان، يلاحظ الأهل أن وجهه أصبح أكثر إشعاعاً وهو أصبح أكثر إيماناً، يقتبس إشعاعه من نور الشمس التي تعكس قدرة الخالق، وبينما ينظّم حزب الله مسيرة عاشورائية في بلدته كفررمان، يشارك في تنظيمها الشهيد إبراهيم فتلاحظ أخته مشاركته، فهو كان يلّف عنقه بشال اسود ويحمل جهاز اتصال لاسلكي، كي لا يتمكن أهله من معرفته، لكن أخته لاحظت وجوده، فأعطاها إشارةً انه لا يريد من احد أن ينتبه لوجوده، ولمّا عاد إلى المنزل اخبر الشهيد أخته انه دخل في المقاومة، في البداية وكأيّ أختٍ خائفة على أخيها قالت له: «شو بدك بهيك شغلة، وأنت طول عمرك عايش بالكويت ونحن مش تعول هيك أشياء».

فردّ عليها: «بالعكس، لما بتقعدي معهم وبتتقرّبي منهم، بتتقرّبي من دينك أكثر».

فقالت له: «هذا رأيك وأنت حرّ».

وأخبرها انه فتح صفحة ستترجم إلى صفحات سيخطّها بقلم حزب الله على طريق الهدى والأيمان وأنه سيلتحق بركب الشهداء

الأطهار، وأردف قائلاً: «أن هذا صوته». وكانت هي اول من عرفت أنه يقوم بعمليات جهادية.

بعد سنتين عادت العائلة إلى لبنان لتستقر فيه، فلاحظت غيابه الطويل عن المنزل لأنه كان يقوم بدورات عسكرية فأرجع سبب الغياب إلى انه يقوم فقط بأعمال إدارية للحزب داخل المنطقة.

وفي إحدى الجلسات الحوارية بين إبراهيم ووالده، حضر رجل إلى إبراهيم وطلب منه أن يتمشّى معه ليتحدث إليه، فقاما وتحدثا طويلاً، عندها شك والده بالأمر، فعندما رجع سأله عن الأمر فقال له الشهيد: «عرفت عن ماذا ستسألني» فقال له والده: «مادمت عرفت يجب أن تحدثني ما الذي يحصل»، فقال له الشهيد: «شرط أن لا تغضب»، فحدّث والده أنه يقوم بعمليات جهادية ضد الكيان الصهيوني الغاصب.

وعند المساء وإبراهيم جالس يناجي القمر، ويسبح الخالق، جاء والده إليه وقال له: «يا أبي أنت أتيت إلى هنا لتكمل تعليمك، انهِ تعليمك ثم امشِ في هذا الطريق».

فأجابه: «يا أبي أنت مؤمن بالله تعالى إذا أنت قلت لا وأنا قلت لا عندها سندع الإسرائيليين يغزون أرضنا ويعتدوا علينا».

فيردّ عليه والده: « لكنك أنت ما زلت صغيراً على القيام بهذا الأمر، فأنت لا تعرف كلّ الأمور».

فكان يجيب: «إئتنيِ بأفضل مني في لبنان ليحدثك مثلي أو

يمشي مثلي وان يكون قد مرّت عليه تجربتي فانا قد زرت كثيرا من الأماكن والبلدان». وكأي أمٍّ تتمنّى أم محمد أن تزفّ ولدها عريساً، فتطلب منه الزواج، فيجيب بأنه متزوّج، فتعلو علامات الاستغراب والدهشة في وجوه الحاضرين ، فيكمل إجابته: «اجل أنا متزوج من قضيتنا (قضية طرد العدو الإسرائيلي من لبنان)».

إبراهيم ضاهر لم تكن ذاكرته لتنسى يوماً واحداً أن هناك أناساً يتسكعون على الطرقات، لم يكن لينام في سريره محتمياً من الصقيع بعرين الدفء وهناك من يحاول الهرب من مخالب الشتاء الباردة، ولم يكن ليطيب له أكل الملذّات والطيّبات، وهناك أطفال تبكي وأخرى تموت وهي تطلق الصرخات التي تمزق القلوب، فكان يندفع إلى مساعدة الفقراء حتى أنه كان ينفق من ماله عليهم، ليعيد الضحكة البريئة إلى وجه الطفل، وليأوي المسكين في عشّ الدفء وكان يضطر أحيانا إلى أن يطلب من والده المال ليدفع للفقراء أو حتى الاستدانة من البعض ليدفع لهم، وعندما تولى مسؤولية توزيع المساعدات، كان يصر على توزيعها بنفسه، يوزعها والبسمة عالية شفتيه ليعيد الأمل إلى من أفقدتهم الحياة وظلم بني البشر الأمل في الحياة.

وفي صباح احد الأيام، وبينما إبراهيم يقطف من حديقة منزله الأزهار الفوّاحة ليقدمها قربان وفاءٍ لتضحية والدته، وإذ بإحدى السيّدات التي يبدو عليها علامات الفقر تمرّ من أمام إبراهيم فأوقفها: «أم حسين... أم حسين...»

فأجابته: «شو بدك يا إبراهيم... شو بدك يا إبراهيم... شو بدك يا ادمي...»

الشهيد إبراهيم: «لوين رايحة ؟»

السيّدة: «زوجي مريض، رايحة إشتغل بدي أمّن حق الدواء وطعمي أولادي».

شعر إبراهيم وهو يسمع هذه الكلمات انه أمام إمرأة تجاهد على ثغور العمل من اجل الحياة، وظهرت الدموع مترقرقة كحبّات اللؤلؤة في عينيّ إبراهيم وبدون أية مقدمات قدم لها باقة الورد التي كان يقطفها، لأنه شعر أن تضحية والدته لا تقلّ عن تضحيات تلك السيّدة، ولم ينس أن يقدم المال لمساعدتها كعادته، ورحلت تلك السيدة وهي تلهج بكلمات الدعاء للشهيد الذي شعر أن الزمان بات قاسياً حتى على الضعفاء ولم تكن المساعدات المالية لتتعدى فقط الفقراء والمحتاجين بل كان يعطي الفتيات اللواتي أقنعهن بالحجاب ليشترين ما يحتجن من لوازم الحجاب واللباس الشرعي، فالترانيم المغردة بحروف الإسلام وكلمات الإيمان وجمل الأخلاق الحسنة، هي التي فتحت قلوبهم مفاتيح الإيمان والهداية، فالشهيد دفع أربعين من بنات الجيران لإرتداء الحجاب والالتزام بها من دون أن يأبهن بتهديدات أبآئهنّ، وهنّ بالإضافة إلى الأصدقاء الذين دفعهم إلى الالتزام الديني ما زالوا يذكرونه، فقد كانوا يكنّون له المحبّة، وهم بكوا انهاراً من الدموع لفقدانه، ويبكون لفراقه لمجرّد سماع اسمه.

إن هذا الشخص الذي تنحني الدموع لحروف اسمه لا بدّ أنّه

اشعل ارواحهم والهبها بلهيب العشق الإلهي التي كان يعيشه، فها هو يسبّح الله مع كلّ إشراقة ومغيب شمس، ويمتّع ناظريه بإبداع الخالق، فيلهج لسانه بكلمات الشكر لصانع الكون، الذي ترك بصمة إبداعه في كلّ ناحية من نواحي الدنيا والطبيعة، التي تبهر الأنظار، فهي تبكي في الشتاء أمطار التضرع والخشوع مشاركةً دموع خشوع إبراهيم، فتسقي الدموع الأراضي لتنبت أشجاراً وأزهاراً وتقدم الخير للناس في فصل الإشراق والحياة، لو لم يكن ذاك التضرّع والخشوع يعيشان في قلبه، ويلمحان في دموعه ويسمعان في حرقة صوته، لما كان وصل إلى مرتبة من أحبّه الله فملّ الانتظار، فأراد الرجوع إليه بسرعة.

ولم يكن إبراهيم ليحتكر هذا الحب لنفسه، بل دفعه إلى غيره وأغرق من التقاه في أمواج هذا الحب، فكان أن دفع أخاه المتزوج للمشاركة معه في العمليات الجهادية التي يقوم بها ضد العدو الإسرائيلي، وصادف أن أصيب أخوه في إحدى العمليات، فبادره إخوته باللوم لأنه كان السبب فكان جوابه جواب الصقر، اجل انه جواب صقر عنيد، كانت كلماته تعبر عن صدق ذلك الماء المتسلق حبل الشهادة والرحيل إلى الرفيق الأعلى: «يجب أن يذهب كل واحد منكم، وأمكم وأبوكم حتى لا يبقى أي إسرائيلي يدنس أرضنا» وهذه العبارة هي ما يتّبعها إخوة الشهيد، فهم ما زالوا سائرين في خط حزب الله، وكما يعبر احدهم أن الموت موجود في دمهم، ورثوه عن أجدادهم وأنهم يحبون الموت من اجل الأرض والإنسان

ومرضاة الله. وقد كان الجنوب يتعرض للكثير من العمليات الإسرائيلية وفي إحدى المرات حضرت قوات الطوارى الدولية إلى أرجاء البلدة وصارت تنذر الأهالي من عدوان إسرائيلي غاشم على بلدتهم كفررمان وان من يبقى سيتحمل المسؤولية ولن يلوم إلا نفسه، وما أن سمع الشهيد هذه الكلمات حتى وقف وقفة العز والشموخ والتحدي واحضر «السلاح» وعمّره على السطح بشكل دائري وأتى «بالشراشير» وأعطى كل فرد من أفراد العائلة ثلاثة «شراشير» وقال لوالده بلهجته العامية التي يعلوها الحماس: «أنت من ميل وأنا من ميل ونريد أن نري الناس إننا لن نترك بيوتنا ولن نهرب بل نحن من يعيد الناس إلى بيوتهم وسأريك كيف أعيدهم». واحضر صندوقي قنابل يدوية، وعندما كان يذيع المذيع كان يقول له الشهيد: «تعال إلى هنا فنحن بانتظارك ونحن لسنا خائفين منكم». وكان والده يطلب منه السكوت فكان يجيب «أريد أن أقول لهم إننا في البيت وإننا لسنا خائفين منهم ولا من تهديداتهم». ويقي الأهل معه في البيت وجاء الدفاع المدني إليهم واحضر لهم الطعام وقالوا للشهيد إبراهيم:

- الم تنته يا أخ إبراهيم

فأجابهم بكل شجاعة وثقة بالنفس:

- انظر هذه كلمة «فلّ» يقولونها لشخص مثلكم ونحن يقال لنا أن نغادر منزلنا وأرضنا ونحن ما زلنا وسنبقى هنا فأن أتوا سنريهم من نحن وان لم يأتوا فأنهم جبناء وكما هم عليه».

وبالفعل لم يات الإسرائيليون في يومها وصار الناس ياتون إلى منزل الحاج أبو محمد ويضعون أرزاقهم أمانة عنده، في وقتها بدأ إبراهيم يقول لهم «أعرفكم أصحاب كرامة يا أهل بلدتي ويا أهلي... فالأرض لكم والعدو إلى زوال»، وموقف إبراهيم شجع الكثير من الأهالي على البقاء والصمود، فصمود إبراهيم وفورانه الشبابي هو ما نفح صدورهم برحيق العنفوان والصمود ودفعهم إلى البقاء للدفاع عن القرية وأرزاقهم وأرضهم وفي المرة الثانية وعندما أذاع العدو بأنه سيغير على القرية جاء أهل القرية وسألوه هل يغادرون أم يتحلون بالصبر والصمود بوجه الغطرسة الإسرائيلية فكان جوابه أن نطق لسانه بكلمات العزة والشموخ والعنفوان والصمود فقال لهم:

- ابقوا في بيوتكم إذا كنتم لا تريدون أن تطلقوا النار معنا، لا تفعلوا ولكن ابقوا صامدين في منازلكم ولا تغادروا وإذا أتى أحد ليؤذيكم راجعوني وانا سأقف في مواجهته.

فهذه الشجاعة الجسدية كانت حصيلة الشجاعة الروحية التي استمدها الشهيد من عشقه الإلهي، حيث انه لم يكن ليحيا بحب الدنيا، وهناك عند القدوس عشق ثوباً من أثواب الإستبرق وشرب ماء من شراب الكوثر وحفظ شعراً من أشعار الرحمن ولطالما جلس الشهيد مستمعاً إلى نشيد «أماه تصبري»، هذا النشيد الذي يغني مع الصبر الحاناً متناسقة سطرتها الأيام مع أنغام الموسيقى، ولطالما أطربته تغاريد العصافير ورددته الأشجار مع حفيف

اوراقها وتمايل البيلسان، ورقصت الاغصان على انغام الحان الأغنية، مجتازة حاجز الحنان، بانية لبناء صبر، حفظته الوالدة وسجلته على مدرج اهتمامها، لأن الصبر والسلوان من شيم المؤمنين، بنته بحجارة المحبة التي سرت في دم إبراهيم ذائبة كجدول متدفق يعزف أذان الليل بأنغامه مزينة لوحة أخلاقه التي وسمها بخطوط إبائه وعزته وكرامته وشموخه وشهامته وبطولته وشجاعته، وعناده القتالي، فإذا رأى قوات جيش لحد قادمة كان يقوم ليواجههم وحده احياناً، وإذا حمل المسدس فإنه كان يكتب اسمه بطلقات هذا المسدس حتى انه كان ينزل الغراب بالكلاشنكوف وعلى شرفة المنزل وبينما الشهيد وعائلته يستضيفون ابن أخت الحاج جميل، وكان مسؤول المحور، وفي إطار حديثه، قام الوالد بالمزاح مع الضيف وقال له:

- وغداً إذا امسكوا بإبراهيم؟

فقاطعه ولده وأجابه جواب الأبطال قائلاً:

- يا أبي أنت جبت رجال وغداً سأذكرك بما سأفعله بهم، ولن اترك احداً منهم يمسّني بسوء.

وكأن العملية الاستشهادية قد خطها الشهيد قبل أن تحصل بيراع كلماته البطولية فعلى الرغم من مشاركة إبراهيم في عدد كبير من العمليات إلا انه لم يصب.

عندها بُهر الوالد من هذه الشجاعة التي يملكها ابنه، صاحب النفس الزكية التي كانت تبتعد عن الحضيض قدر الامكان كانت

تلهم صاحبها القوة والمقدرة على مجابهة الشيطان، هذه الشجاعة الروحية على مقاومة الشهوات والنزوات النفسية، هي التي ألهمته القوة الجسدية التي كان يجابه بها العدو الإسرائيلي دفاعاً عن أرضه وشعبه وأمته، ويدافع بها عن المقاومة الإسامية، فقد كان لديه حميّة يهبّ للدفاع عنها لمجرد سماع انها تعرضت لإهانة أو خدش.

فالجرأة كانت تخط علاماتها على وجه البطل، هذا البطل الذي لطالما كان محط إعجاب الناس من خلال شكل جسمه ومشيته، إذا تكلم كان يبقى عند كلمته وإذا عمل احدهم على بعث الخوف في نفسه قائلاً له: «غداً سيوقفك الإسرائيليين» كان يستهزى بهذا الكلام غير آبه به، مطلقاً كلمات القوة والصمود قاسماً بالله انه لن يدع الإسرائيليين يمسّونه ووالده جميل محمد ضاهر، فقد كان يفتخر بوالده كثيراً ويتغنى به بأفعاله. وفي كل ليلة يخرج فيها الشهيد إلى العملية يضع بزته عليه، ويحمل بندقيته في زنده البطولي، جامعاً بين أحضانه تلك الكلمات الربانية التي عشق ورتل، أنها كلمات القرآن الكريم، سابحاً بنظراته الأخيرة إلى أمه، رافضاً إزعاجها لتوديعها، لأن دموع ملاك الرأفة والرحمة ستشد القلب إلى القلب وترتمي العزة والعنفوان في حضن الحب والحنان، يلقي عليها النظرة الحنونة قبل أن يخرج لتنفيذ المهمة ويعانق جفنيها النائمين ويسير معها بعيداً ليجلس في طياتهما قبل الرحيل، يخرج معانقاً البندقية وبين أحضانه ذراعا أمه وفي عينيه دموع الفراق يخرج وقلبه عابق بأريج الشهادة وعطر الأمومة، ولقد علمته

لحظة الفراق الصمت والمهابة واكسبه الشجاعة والرأفة والرحمة.وقبل استشهاده قدّم والده له طلب السفر ثلاث مرات إلى السفارة الكويتية لكي يسافر معه ولكنها لم تقبل في المرات الثلاث، وحتى انه عرض عليه أن يدرس ضابط حربية فرفض بسبب عمله في المقاومة، وكما أن الشهادة كانت تنتظر إبراهيم ضاهر عند كل مفترق وعند كل طريق، كانت تعانقه عند تخوم بلدته كفر رمان وتجره بيدها كولدها الصغير إلى حيث بر الأمان حيث يلتقي بالبارئ الذي أحب وعشق، ونذر نفسه قرباناً في مسرح حبه والإخلاص والوفاء له، مسرح وسامة الجهاد في سبيل الله.

وقبل شهرين من استشهاده قام العدو الإسرائيلي بعملية إنزال عسكري من موقع الطهرة باتجاه بلدة كفررمان، عندها طلب الشهيد من أهله أن يغادروا المنزل ويتركوه فيه وحيداً حيث يقوم بوضع المتفجرات داخله وتفجير نفسه به والاستشهاد إذا اقترب الإسرائيليون من منزله ولكن وقت الشهادة لم يحن بعد، وإذ لم يقترب الإسرائيليون من المنزل ولم يتحقق حلم الشهادة الذي لطالما عبّر لأهله أنه قد شرب كأسه، هذا الكأس شربه من مآذن المساجد وآيات القرآن الكريم ومواعظ الشيخ الجليل وصفاء السماء وضوء الشمس وحب الله وملل الانتظار وتعجيل اللقاء بالباري عز وجل. ولطالما كان إبراهيم يتمركز مع المجاهدين من شبان المقاومة الإسلامية في الملجأ الواقع تحت منزله وجدران ذلك الملجأ مازالت تذكر التسبيحات الربانية التي كان يطلقها الشهيد مع إخوانه، وما

زالت تتذكر دموع خشوعهم وتذرف معهم تلك الدموع التي يطلقونها تضرعاً وخشوعاً، وترسم معهم خطط عملياتهم التي كانوا يعدون لها، وحين تشتاق روح أبي محمد إلى روح الاستشهادي الزكية ينزل إلى ذلك الملجأ ليلمح روح إبراهيم المرفرفة في أرجاء تلك الغرفة المحاطة بالأزهار والورود ويرحل الحاج جميل بحلمه ليصل إلى ذاك البعيد الغالي ليجده مرتدياً اللباس الأبيض الناصع في وسط الجنان وبين أحضان الأزهار وأكفّ الثمار والأوراق وعلى كتفيه يجلس الحمام بهديله المرتل لآيات الرحمن. وقد كان لسان حال الشهيد دائماً يتحدث مع الشباب عن الأنبياء عليهم السلام وتضحياتهم وعن المقاومين الذين يستشهدون على طريق الحق ضد الإسرائيليين وكيف أن حياتهم لا تنتهي عند تخوم السماء، بل هناك حياة أخرى يعيشونها في ظلال الرحمن وعرشه الجليل، قرب النبي محمد صلى الله عليه وآله وفي أحضان الأنبياء عليهم السلام، وبين يدي أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ورمقة رضا سيدة نساء العالمين السيدة الزهراء عليها السلام.

وتعود بنا الذكرى إلى الليلة المباركة ليلة الجمعة ليلة ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٩٢، الموافق لـ ٢١ صفر، تلك الليلة التي لبس فيها إبراهيم البزة وارتدى الجعبة وحمل البندقية وأسرع الخطوات كأنه على موعد قد تأخر، تأهب للرحيل، تأهب للقاء الحكيم القدير، الملك العزيز، خرج إلى الشرفة حيث كانت أم محمد مستلقية في الخارج، أبى النظر إليها لأن النظر إلى وجهها كأنه يعكس في نفسه إشراق الحنان ويحرك حنان روحه حيث يرتمي بين أحضان أمه. شعلة الحب هذه التي

كانت نقطة ضعفه، التي كان يصعب على كلماتي ان تخطها بحبر الأقلام، وصل إلى نصف الدرج فكانت كلمات الوداع الأخيرة التي سمعها من أمه وكلمات الحنان الأخيرة التي أسمعها إياها، دموع كلماتي انهمرت عندما سمعت تلك الكلمات، فعلى الرغم من بساطتها ولكنها نقلت أحرف الكلمات إلى حيث يعجز اليراع عن تجسيد الموقف:

- قالت الوالدة: «أنت رايح يا إبراهيم؟»

- فكان الجواب على قدر السؤال: «إيه أنا رايح»

تلك هي كلمات لسانه وأما الكلمات التي نبض بها قلبه، كلمات هي تلك تغاريد الشهادة يخطها الشهيد بحبر الشهادة على ورق الأيام ذكرى للآنام هي تلك كلمات نبضات قلبه التي أطلقها مع ترانيم الحرية والحنان.

– أنا رايح يُمة على الشهادة ..

– أنا رايح يُمة على الحلم ...

– أنا أركض يُمة، أنا مسرع يُمة...

اشتقت لحبيبي يُمة ...

يُمة هيدا خط ما بيعرفوا غير الأحرار ...

يُمة الثورة عايشة في قلوبنا ...

يُمة مش أنت علمتيني الصلاة ...

مش أنت زرعت بقلبي حب سيد الشهداء عليه السلام ...

يمة أنت مؤمنة واعطيتيني الإيمان ...

مين خالي يُمة مش موسى اخضر ...
يُمة الموت رحمة ...
يُمة أنا رايح أروي أرض الجنوب العطشى ...
واسقي روابي جبل عامل النضرة ...
أنا رايح اروي لليمون حكايات وأحلام ...
أنا رايح سطّر للأجيال ملحمة ليحفظوها مع البطولات ...
وليكتبوها للتاريخ آمان ...

ودّع إبراهيم بساتين الليمون وأشجار الزيتون وألقى كلماته الأخيرة في ربوع الجنوب العزيزة لتنقله عبر ساعات الأيام ودقائق الليالي إلى القادم من الأجيال. وببزته الكاكية وببندقيته وزنده البطولي، وصل الشهيد إبراهيم ضاهر إلى رفاق الدرب، رسموا الخطة وجهزوا المعدات اللازمة وذكروا الله تبارك وتعالى ورفعوا أيديهم بالدعاء بطلب التوفيق، وسمعت المغاور تردد أصداء أصواتهم الخاشعة المرددة آيات «عم» «والمرسلات» والأنهار حكت حكاية دعاء كميل يومها التي أطلقها من الجوارح من عشقوها وأنابوا في أعماقها، إنهم أبطال المقاومة الإسلامية رفعوا أياديهم التي عشقت حمل السلاح بالدعاء وأطلقوا نظراتهم الخاشعة مرفقة بجواز سفر دموعهم المتضرعة إلى البارئ، المتضرعة إليه ليرزق الروح ما أحبت وعشقت، وليعيد الروح إلى ملجأها إلى الجنان، واشبكوا الأيادي ووقعوا اتفاقاً، اتفاق كان ورقه الرمل وقلمه الدماء وشهوده رفاق الدرب،اتفاق رسمت دماء الأبطال أول حرف

منه هو «الميم»، وعذابات الاسرى جسدت الثاني وهو «القاف»، وانين الجرحى نزف بألم سطر الحرف الثالث وهو «الألف»، وصرخات الأطفال كتبت الرابع وهو «الواو»، وعذابات الشعب خطّت الخامس وهو «الميم»، ونداءات الواجب الوطني صرخت بالأخير وهو «التاء»، وجمعتها حبيبات الرمل لتركب منها كلمة ترسلها عن طريق الأسرار إلى الأحباب وجدتها كلمة «مقاومة» فكانت تلك الكلمة التي جمعت هؤلاء كلهم حولها هي العهد والوصية «حفظ المقاومة»، خطّ الشباب الوصية ورحلوا بحركاتهم الثابتة،وببزاتهم الكاكية وبجعبهم التي حملوها على ظهورهم، جعبهم التي حملت في طياتها كل الكلمات وكل المعاني وكل الحكايات من أبطال صافي والرفيع وأحباب مرجعيون وبنت جبيل وعذابات الخيام وأنين قلعة الشقيف وألم الخردلي.

وعبر المقاومون النهر وشفاههم تتمتم بالدعاء والاستعاذة بالرحمان، ونجوم السماء تحاكيهم والقمر يرويهم من كأسه الفضي جرعات الاندفاع نحو ساحة الشهادة، إبراهيم ضاهر كان يعيش تلك اللحظات، وهو يلمح أمام عينيه الرسول الأكرم ﷺ والإمام علي عليه السلام والسيدة الزهراء عليها السلام أنه يرى جنان الخلد، انه يتذكر وصيته الدائمة إلى إخوته بأن يحافظوا على حجابهن ودينهن، انه يحاكيهم من القلب إلى القلب عبر آفاق الليلة الصافية الهادئة علّ الوصية تصل، علّ من يسمع إبراهيم وهو يوصي بوالديه كل من يحب. رحل إبراهيم ورفاقه على أمل أن يكمنوا للعدو

الإسرائيلي، لكن الشهادة كانت تسير خلف من تحب حاملة «لواء الحب» والعشق لمن عشقوها فباغتت المجاهدين فرقة كومندوس إسرائيلي مؤلفة من ٢٢ عنصراً على طريق الجرمق وبشجاعته المعهودة طلب إبراهيم من رفاقه المجاهدين الرحيل، وبدأ باستدراج العدو رافضاً الإستسلام متحلياً بالشهامة والبطولة لأن سيد الشهداء عليه السلام علمنا كيف نعيش عندما علمنا كيف نموت. لأن من لا يعرف كيف ينتهي لا يعرف حتماً كيف يبتدئ. ومن لا يفهم الشهادة لا يفهم الحياة. ظل يطارد الصهاينة وأمام عينيه يرى الجنان ويمشي سريعاً كأنه مشتاق إلى حبيبه الذي لطالما انتظره، ظل يطارده حوالي الساعتين وحيداً كالليث الضرغام الذي يهاجم الفئران الخائفين المختبئين خلف بنادقهم، وبعد أن أصيبت رجله بجراح، طلب من الراصد أن يوقف الاتصال به وان يعطيه قنبلة يدوية، وظل يباغتهم لكي لا يدعهم يأسرونه ثم نام على الأرض ووضع تحته متفجرات زنتها ٩٥ كلغ TNT وهذه المتفجرات كانوا ينوون زرعها ككمين للعدو في تلك المنطقة وحمل القنبلة اليدوية في يديه، وما إن وصل الإسرائيليون واقتربوا منه حتى فجّر نفسه بهم وتطايرت أشلاؤهم في الهواء وفاضت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى وحلقت في الهواء الطلق ورسمت بأجنحتها البيضاء خطوط التضحية والوفاء للوطن، رحل وكلمات «الله أكبر» التي كان يرددها ما زالت تصدح في أرجاء الجنوب وهي تلقي سلام إبراهيم ضاهر على كل الدموع التي بكت وستبكي من أجله، إنها دموع الفرح تنثر مع الأرز والورود. عانقت

روحه الطاهرة الاعالي وطارت إلى معشوقها التي احبت والتي تمنت اللقاء به سريعاً وعانقت دماؤه تراب الجنوب لتمتزج مع بعضها البعض وتروي فصول الصمود والشموخ، هي الشهادة التي عانقت روحه، هي الحرية التي سرت في جسده، لقد رحل المحب إلى حبيبه وعاد العاشق إلى معشوقه وعادت الروح لتسكن إلى جوار القدوس وتأنس بنسيم الخشوع وقد أراد طائر العمر البهي أن يكسر تلك القضبان والقيود، أراد أن يحطمها ويطير على جناحي الطائر ليسقي حبيبات الجرمق دماءه الطاهرة، رحل قبل أن يقطف شبابه الثمار من دالية جفنيه التي بلغت ٢٢ عاماً، تلك هي الساعة الحادية عشر من ليلة الجمعة، كانت تجلس الحاجة أم محمد على الشرفة وهي كانت تنتظر إبراهيم فهو قد تأخر عن المنزل في تلك الليلة وفجأة لمحت عيناها الأضواء اللامعة في السماء فقالت: «هيدي النار شعلت بقلبي أنا». وذهبت الحاجة إلى فراشها ولكن جفنيها لم يذوقا طعم النوم فهي تشعر بأن إبراهيم أصابه شيئاً ما، وبقيت مستيقظة حتى ساعات الفجر حيث قامت لتأدية الصلاة ودعت الله... أن يسلّم لها ولدها وثم عادت إلى فراشها وأيقظت الحاج جميل من نومه ليقوم بتأدية فريضة الصلاة والذي كان يبدو عليه القلق أيضا. وبعد العملية أصيب العدو الغاشم بحالة هستيريا وقام بالعديد من عمليات التمشيط وقصف المناطق المجاورة للعملية، مما أدى إلى إصابة عدد من المواطنين وأقام العدو جسراً جوياً استمر ساعتين وبقي يسحب أشلاء قتلاه حتى فجر ذلك اليوم، أخافتهم عيون

إبراهيم، أخافتهم شجاعته، أرعبتهم أيها الأسد، زرعت في قلوبهم الخوف والرعب، ولقنتهم درساً إننا نحن أمة لا تهاب الموت، نحن أمة تنام على حافة الدمع وتستيقظ على أكفّ البندقية، لقد قال لهم الشهيد من خلال شعره وقصائده التي نسجها بدمه، انه ما زال في العرب نخوة، ما زال فيهم شجاعة علي الكرار وحيدر المقدام، خيبر ما زالت حاضر في أذهاننا، إبراهيم ولد يوم ولادة الرسول ﷺ واستشهد قبل أيام من استشهاد الرسول ﷺ، كأنه لبى النداء «لبيك يا رسول الله» يوم الولادة ويوم الرحيل. صباح ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٩٢ جاء أحد الإخوان إلى منزل عائلة الشهيد وطلب التحدث إلى أخيه حسن، وعند الظهر ذهب إلى أمه فوجدها تبكي فقالت له: «استشهد إبراهيم». فأجابها: «نعم». عندها أطلقت الزغاريد مع دموع الحزن والفرح وصرخت «الله أكبر».

آهٍ يا أم محمد، إبراهيم استشهد، إبراهيم راح عند عشيقه، إبراهيم سقى حبيبات رمل الجرمق من دمائه، إبراهيم كتب بحبر الأيام قصة انتصار وحرية.

أيها الشهيد البطل سقت دماؤك الطاهرة تراب لبنان التي انحنت لعظمة تضحيتك، لقد سئمت الحياة فأبيت إلا الرحيل، رائحة دمائك الزكية ما زالت تملأ السهول وتفوح في الأرض حتى تملأ الدنيا كلها وتدخل في أنوف الفقراء الذين لطالما كنت معهم تؤنسهم وتساعدهم، ليستنشقها إخوانك الذين خطوا دربك، وتثير فيهم البطولة وتدخل في أنوف الصهاينة لتقلق

بالهم وتسلبهم الراحة، جثمانك الطاهر لم تتطاير اشلاؤه حتى تدفن في الثرى، بل روحك هي التي فاضت في الأعالي ومازالت تظللنا وتلهمنا في كل يوم وفي كل ساعة طعماً جديداً من طعم الحرية، دمك الذي سال في تلك الأرض روى لسنابل القمح القصة وخط لبساتين الليمون الحكاية. وقد زار سماحة السيد حسن نصر الله(حفظه الله) منزل الشهيد معزّياً ومباركاً الشهادة فسماحته يحب الشهداء ويحب مجالسة آل الشهداء ولطالما تمنى أن يكون منهم وحقق الله أمنيته باستشهاد نجله هادي، كذلك فعل الشيخ عبد الحسين صادق والحاج حسين الخليل والنائبين الحاج محمد رعد ومحمد فنيش بالإضافة إلى الأهالي الذين حضروا مباركين الشهادة. ولم يكن مجلس العزاء الحسيني الذي أقيم له بعد سبعة أيام من استشهاده إلا تعبيراً قليلاً عن قليل من الوفاء لدمائه الطاهرة والزكية، حضرت الحشود التي لطالما سمعت كلمات كان وقعها على قلوبهم كوقع قطرات المطر على ارض عطشى، هذه الحشود جاءت لتشارك أم محمد في زفّ ولدها الشهيد عريساً إلى جنات الخلد، والتي قالت الكثير من المعاني في بضع جمل: «ولدي سار في درب الجهاد والاستشهاد وبرضانا وبقناعتنا بهذا الخط لأنه درب الإمام الحسين عليه السلام وأنا مرتاحة لشهادته ولا أتمنى له إلا الرحمة والرضوان وأحمد الله حمداً كثيراً على هذه الشهادة التي أعزنا بها ورفع رؤوسنا عالياً، استشهد في سبيل الله والله أحبه واختاره ولم يسألنا عندما

رزقنا وهو ليس بحاجة إلى سؤالنا عندما أحبه، هو اعطانا إياه وهو أحبه وأخذه». وأما الحاج أبو محمد فلم تكن كلماته اقل تعبيراً من كلمات زوجته: «تلقيت استشهاده بكل اعتزاز وافتخار لأن شهادة من هذا النوع وفي هذا الخط ترفع الرأس عالياً وأفضل من ألف ميتة على الفراش فأنا اشعر بالفخر والعزة أمام هذه الشهادة المباركة،...».

هذا هو حال كل أسرة جنوبية فهي مستعدة للتضحية بكل ما تملك من مال ونفس وروح فداءً لهذا الوطن والتزاماً بنهج سيد الشهداء عليه السلام .

وفي عام ١٩٩٦ جرى تبادل للأسرى وجثامين الشهداء بين المقاومة الإسلامية والعدو الإسرائيلي وترددت أنباء عن وجود جثمان الشهيد بين الأشلاء العائدة وعندما علمت الحاجة أم محمد أن أشلاء ولدها لم تكن بين الأشلاء المستعادة حزنت حزناً شديداً مما أدى إلى وفاتها في نفس الوقت الذي استشهد فيه إبراهيم ضاهر فكانت ساعة الرحيل بين إبراهيم ووالدته، هي ساعة اللقاء بينهما.

إبراهيم ضاهر ألهب روحك العشق الإلهي وأشعلت في نفسك نار الشهادة وسرت في شرايين دمائك كلمة الله وتنفست رئتاك مع شكر الله جثمانك ليس معنا ولكنك في قلوبنا وفي كتبنا وفي حبر أقلامنا وفي كلماتنا، روحك ترفرف من فوقنا تشعل لنا مصباح الأمان والاستقرار والحرية والانتصار، رحلت «أبو زينب» ورحلت معك الذكريات وكانت الوصية الأساس التي غرقت في الدمار يوم

تدمير منزلك ولكنها بقيت حية في الذاكرة هي حفظ نهج المقاومة والسير على خطاه.

إبراهيم كان شجاعاً مندفعاً لا يعرف الهدوء وأسمح لنفسي بأن أعطيه صفة المشاكسة ولكن أحرف مشاكسته تختلف عن كل الأحرف التي يعنيها البعض، فالميم تعبر عن محبة الله والشين تصف شهادة أحاطته بذراعيها والألف هي اسم عاشقه هو الله والكاف هي بلدة كفر رمان التي أحبها وقدم روحه فداً لتنال حريتها وأما السين سطرت سمو روح وفؤاد من هجر عمر الشباب إلى عمر الخلود وأخيرا التاء الاستشهاد والتضحية.

حكاية تحرير وحرية تنثرها الأزهار ذات الإحمرار القاني في حقول الجنوب الأبي جملاً وكلمات أهدتها ليل ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٩٢ لدمائك الزكية التي أكدت على استمرار نهج المقاومة تشاركها أنغام العصافير بألحان الجهاد مرسلة إياها عبر بريد الأشجار وصدى الليل إلى الحاجة أم محمد!

من صحراء رملية قاحلة تمتد كسجاد أمام العين طويلاً، إلى بساتين خضراء خصبة تمتد كبساط أمام الناظر جميلة، من كربلاء إلى الجرمق رحل إبراهيم ضاهر ومن عشق الله إلى نظرات تحمل في طياتها حباً للوطن وترى في آفاقها صموداً وجبروتاً، خط إبراهيم تضحيته بقلم الوطنية وحبر الدم، وكلمات وحروف البطولة. ومن وإلى تلك حكاية من ملّ الانتظار فعجل الرحيل للقاء الحبيب، وإن كان الربيع لا يزال يرقص مبتهجاً لتفتحه بين أزهارها فهو عشق وهاجر إلى حيث الروح تتكئ على

وسائد الفوز، حكاية تتقلب بين ثناياها أسطراً خطها الشهيد بقطرات دمه عند أشجار الصفصاف المرددة لتسبيحاته الربانية، وعند نهر حمل خفايا من رسم بريشة الدم لوحة الحرية والانتصار...

ورحلت آخر الكلمات إلى كنز الشهادة تفتح على قصة جديدة لكنك إبراهيم ضاهر بقيت بين ذرات تراب الجنوب حاضراً وبين رقرقات نهر الليطاني مرتلاً وبين رفاق الدرب ملهماً رحلت لتغرد مع من رحلوا في الجنة، فهنيئاً لك جنات الفردوس وبوركت لك الحور العين وأثواب الحرير والإستبرق. إبراهيم ضاهر أنت آية من أروع الآيات الإنسانية التي سطرت التاريخ، أنت حلم رحلت في عمر الحلم، رحلت في ربيع عمرك لتهدي لبنان ربيعاً زهر في الخامس والعشرين من شهر أيار، وحمل بسمة الشمس وضحكة الأرض فانتشر السوسن وتمايل البيلسان وثقلت السنابل واخضر التبغ وأينع الزرع وغرد الكون... وصدح كل حجر ونبت وبشر مرددين اسم البطل، كل الكلمات تقف منحنية أمام عظمتك، وكل الأحرف تسقط معانيها أمام تضحياتك، وكل الحبر يجف عند تسطير حكايتك...